الكتاب: عقيدة أبي طالب
المؤلف: السيد طالب الرفاعي
الجزء:
الوفاة: معاصر
المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية
تحقيق:
الطبعة:
سنة الطبع:
المطبعة:
الناشر: مركز الأبحاث العقائدية – قم
ردمك:
ملاحظات:

عقيدة أبي طالب
تأليف
السيد طالب الحسيني الرفاعي

عقيدة أبي طالب
تأليف السيد طالب الحسيني الرفاعي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ

بقلم الأستاذ الدكتور علي النجدي ناصف عضو مجمع اللغة العربية

حول إسلام أبي طالب

اختلفت الآراء، وتعددت الروايات في إسلام أبي طالب عم الرسول ووالد الإمام علي، وذهب الناس فيه بين مثلب يقرره، وناف ينكره، بل لقد غلا بعض منكريه، فحدد مقعد أبي طالب من النار،

اجتراء على الله، وعدوانا على سلطانه وإرادته في خلقه، فالله هو وحده الذي يحكم بين عباده ويحدد مصايرهم على ما يشاء: عفوا أو حسابا، وغفرانا أو عقابا، لا معقب لحكمه ولا راد لإرادته.

ومهما يكن من الأمر فقد كنت امرءا لا يأنس بنفي الإسلام عن أبي طالب، ولا تقع أنباؤه مني

بموقع الرضا والقبول، لا عن بحث ودرس، ولكن عن وجدان وحس، لا أعرف لذلك سببا ولا مأتى، إلا أن تكون المواقف الكريمة التي أعلمها عن أبي طالب من صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه،
في أطوار حياته كلها هي سره ومأتاه، وداعيته الموحية، ومنشؤه الأصيل.
فما أحسب أنباء هذه المواقف إلا أنها رسبت في قرارة النفس على مر الأيام، فكان منها ما أجده وأحس به حيال ما نرجو أن يلقاه عنده ربه من الرضا والقبول.
على أنني قد اطلعت على كتاب في هذه القضية، صادر عن دار أهل البيت عليهم السلام في القاهرة، من تأليف العالم السيد طالب الحسني الرفاعي، فألفيته قد درس القضية دراسة موضوعية مبرأة من
دوافع الميل، ونوازع العاطفة.
فقد ناقش إنكار المنكرين مناقشة هادئة رصينة، وعرض ألوانا من النصوص المروية،

وحشدا من القرآن المرجحة، انتهت به هذه وتلك إلى ترجيح القول بإسلام أبي طالب، ودخوله في دين الله. وأرجو أن يقيض الله للقضايا الأخرى التي تشبه هذه القضية من يتولاها بالدراسة والتمحيص.

وهكذا تطابق عندي الحس والدرس، وما أكثر ما يتطابقان في عالم القضايا والأحكام والحمد لله رب العالمين.

القاهرة

علي النجدي ناصف

مقدمة

الحمد لله أهل الحمد، والصلاة والتسليم على رسوله الأمين محمد المختار وآله الطيبين الأطهار.

لقد كثر الكلام واحتدم الجدال في قضية إيمان شيخ بني هاشم أبي طالب عم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. وكتب في هذا الموضوع جماعة من أهل السنة والشيعة على السواء كتبا ذهب فيها

أصحابها إلى القول بإيمانه (١) وقد عرضنا أقوال النافين والمثبتين في كتابنا (يوم الدار) (٢) ولما عرضت على

---

(١) من بعض هذه الكتب:

(أ) إيمان أبي طالب للشيخ المفيد.

(ب) الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب للسيد شمس الدين مختار بن معد.

(ج) شيخ الأبطح للسيد محمد على شرف الدين.

(د) أبو طالب شيخ بني هاشم لعبد العزيز سيد الأهل.

(ه) أبو طالب مؤمن قريش لعبد الله الخنيزي.

(٢) سيصدر للمؤلف قريبا.

الأستاذ الدكتور علي عبد العظيم أن يقدم للكتاب استجاب لذلك مشكورا ومن جملة ما ذكر في التقديم قوله: (ومن خير فصول الكتاب البحث الذي كتبه عن إسلام أبي طالب فقد شرح الصدور وأقر
العيون وأفاد به المستفيدين، وأقنع به الباحثين المنصفين فقد كان فيه قوي الحجة صائب الرأي... وأتمنى أن يطبع هذا الفصل الخاص بإيمان أبي طالب
في كتيب مستقل ليعم به النفع، جميع المثقفين.
وبناء على هذه الرغبة من الأستاذ الفاضل الدكتور علي عبد العظيم سارعنا بطبعه مستقلا عن كتابنا (يوم الدار).
ورأيت من باب الفائدة المزدوجة أن أصحبه بما كتبه بعض الكتاب المعاصرين الذي كان يذهب في بداية عهده بالكتابة إلى نفي إيمان أبي طالب اعتمادا على بعض المؤرخين فقال: (وكان لهذا اليتيم
يعني النبي محمدا صلى الله عليه وآله وسلم سمات في حداثته من النبل والقداسة

عرفها أبو طالب وجعلته والكثيرين من ذوي العلم في الناس يتوقعون لابن عبد الله بين العرب مكانة لن يبلغ شأوها في أقوالهم بالغ، ولكن الشيخ، مع هذا تجلل بالصمت وجلس ينظر، وإن هي إلا شقاوة
شاءها له طالع سوء، به على الشر كبا، وعن الخير نبأ) (١).
ثم انتهى به المطاف بعد أن قطع أشواطا مضنية ومتعبة في كتابة التاريخ وقراءة نصوصه مع الأناة والتأمل وحسن الصبر إلى أن قال بإيمان أبي طالب مستدلا لذلك بالوقائع والأحداث التاريخية التي
صحبت بداية الدعوة الإسلامية بما في ذلك شعر أبي طالب ومواقفه الجريئة المخلصة من الدعوة وصاحبها فيقرر الأستاذ بعد ذلك ويقول: (والواقع أن موضوع إسلام أبي طالب لا يغني فيه المنقول عن
المعقول وليس مما يرجع في تحقيقه إلى الأسفار وحدها لفرط ما غلب من

---

(١) عبد الفتاح عبد المقصود الإمام علي بن أبي طالب: ١ / ٤٧.

بعد على تاريخ تلك الفترة من تزييف وابتداع الأحاديث والروايات، وحسبنا دليلا على تغلب الميل لعقيدة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في نفس أبي طالب أن الشيخ الكريم انتصارا لهذه العقيدة
قدم ابنه أمير المؤمنين وهو أعز على نفسه من كل أهله بمقياس القرابة فداء لابن أخيه وهو في الحقيقة فداء للدين).
هذا والله أسأل أن ينفع به ويهدي فريقا من المنصفين لتناول هذا الموضوع بأقلام معاصرة تستهدف البحث عن الحقيقة غير متأثرة بآراء مسبقة وبعيدة كل البعد عن كل عصبية مذهبية والحمد لله
رب العالمين.
دار أهل البيت بالقاهرة.

أبو طالب بن عبد المطلب
بعد عبد المطلب تولى زعامة قريش ابنه أبو طالب ويسترعي النظر في هذه ثلاثة أمور تلابس أبا طالب، وهي أنه:
١ لم يكن أكبر أخوته، مع أن السن كان له حينئذ وزنها في تحديد المواقع وتقويم الرجال.
٢ كان فقيرا لا مال له، مع أنه لم يكن يتبوأ سدة الزعامة في قريش في الجاهلية إلا من كان مستندا إلى ثراء وغنى كبيرين، وظاهرين.
٣ كان بين إخوانه من هو، فعلا، على غنى وثراء واسع وهو العباس بن عبد المطلب.
وكل هذه أمور تجعل أبا طالب فذا في زعامته لقريش، مما يؤكد أنه كان على مواهب وصفات ألغت التأثير المعاكس لكل هذه العوامل الثلاثة بالنسبة له، وأتاحت له أن يتصدر قومه ويسودهم دون
منازع، فقد كان له من مكارم

الصفات، ومعالي السجايا والأخلاق، ما جعله محل احترام الجميع ومحبتهم.
اسمه: عبد مناف بن عبد المطلب.
لقبه: أبو طالب. وقد غلبت عليه هذه الكنية حتى لم يعرف أن أحدا كان يناديه باسمه الأصلي (عبد مناف) أبدا. سيادته في قومه:
كانت شخصية أبي طالب القوية تسيطر على النفوس بطهارتها واستقامتها وترفعها عن الدنيا، إلى أنه مع ذلك، كان شاعرا مجيدا، فأضاف إلى تأثيره بالشخصية تأثيره باللسان وسحر البيان.
ولقد خلف أبو طالب أباه عبد المطلب في كل مناصبه ومكانته، ولكن ضيق حالته المالية جعله يكل إلى أخيه العباس شأن السقاية وأعبائها نظرا لما كان له من ثراء واسع، يعينه على أن ينهض بمهمتها
بصورة أحسن تتناسب

مع ما اعتاده بنو هاشم من إكرام وتكريم ضيوف البيت الحرام من الحجيج.
ومما يؤثر عن حكمته وحسن تقديره أنه كان أول من سن القسامة في العرب قبل الإسلام (١). وذلك في دم عمرو بن علقمة، ثم جاء الإسلام فأقرها. كفالته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم:
كان أبو طالب الأخ الشقيق الوحيد لعبد الله (والد النبي). وقد عهد إليه والده عبد المطلب بكفالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فكان عند حسن الظن به، حدبا عليه، وانعطافا إليه، ورعاية له وعناية به،
حيث لم يجعله فقط، كواحد من أبنائه، بل كان يقدمه عليهم أجمعين (٢).
وكان مما زاد في إعزازه عنده، واهتمامه بشأنه

---

(١) (القسامة) بالفتح: الأيمان تقسم على أولياء الدم.
(٢) سيرة ابن هشام: ١ / ١٧٩.

وحرصه عليه أن جميع الدلائل كانت ترهص بأن له شأنا في المستقبل. ومن ذلك:
١ ما يرويه ابن إسحاق من أن (رجلا عائفا من لهب، كان إذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر إليهم، ويعتاف (١) لهم فيهم، فأتاه أبو طالب بالنبي وهو غلام فنظر إليه.. ثم قال
بعد فترة ردوا على هذا الغلام الذي رأيت آنفا، فوالله ليكونن له شأن.... فلما رأى أبو طالب حرصه عليه، غيبه عنه) (٢).
٢ ما سمعه أبو طالب من بحيرى الراهب، إذ قال له: (ارجع بابن أخيك إلى بلده، وأحذر عليه يهود، فوالله لو رأوه، وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم،
فأسرع به إلى بلاده) (٣).

---

(١) يعتاف: يتكهن ويتنبأ.
(٢) المصدر نفسه: ١٨٠.
(٣) المصدر السابق: ١٨٢.

٣ ولقد سبق أن سمعه أبو طالب من والده عبد المطلب في شأنه ثم صدقه كلام العائف والراهب من بعد فكان لهذا أثره الكبير في أنه صار على أتم الثقة من أنه سيكون له شأن عظيم.

٤ ولقد ظل محمد صلى الله عليه وآله وسلم في بيت عمه أبي طالب، محل الإعزاز والإكرام والاهتمام والعناية إلى أن انتقل إلى بيت الزوجية حيث بنى بخديجة بنت خويلد (١) إحدى كرائم مكة،

ومعالم ثرائها في تلك الأيام.

ولعل مما يشير إلى مكانة النبي عند أبي طالب،

---

(١) أم المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى من قريش: زوجة رسول الله الأولى، وكانت أسن منه بخمس عشرة سنة، ولما بعث رسول الله دعاها إلى الإسلام، فكانت أول
من أسلم من الرجال والنساء. وأولاده كلهم منها، غير إبراهيم ابن مارية القبطية.
وفاتها في السنة الثالثة قبل الهجرة. بعد خمس وعشرين سنة من حياة زوجية هادئة وادعة هنيئة ذاق فيها
رسول الله طعم السعادة البيتية برغم ما عاناه في العشر السنوات الأولى للبعثة من المتاعب والمشقة.

وتقديره له أن نستمع إليه وهو يخطب في حفل زواج النبي من السيدة خديجة إذ يقول: (إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله، من علمتم قرابة وهو لا يوزن بأحد إلا رجحه: شرفا ونبلا وفضلا وعقلا،
فإن كان في المال قل، فإن المال ظل زائل، وعارية مسترجعة. وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك. وما أحببتم من الصداق فعلي، ومحمد بعد هذا له نبأ عظيم، وخطر جليل) (١).
على أن أبا طالب لم يكن يصدر في تقديره لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم عن مجرد الحب والقرابة بينهما، أو مجرد الإعجاب بمحامد الصفات، وجميل السجايا، وكريم الأخلاق، التي كان يتحلى بها
النبي، وإنما كان عن إكبار وإجلال وتقدير واحترام على ما كان بينهما من فارق

---

(١) الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي: ١ / ٢٣٨، تاريخ ابن خلدون: ٢ / ٧١٢.

السن ودرجة القرابة لشخصية النبي، فكان، وهو كافله وحاميه، يمدحه بالقصائد التي لا يمدح بمثلها إلا الملوك والعظماء من مثل قوله:

وتلقوا ربيع الأبطحين محمدا * على ربوة من فوق عنقاء عطيل
وتأوي إليه هشام إن هاشما * عرانين كعب، آخرا بعد أول

وبمثل قوله:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يطوف به الهلاك من آل هاشم * فهم عنده في نعمة وفواضل

ويقول علي بن يحيى البطريق في بيان سر ذلك (لولا خاصة النبوة وسرها، لما كان مثل أبي طالب وهو شيخ قريش ورئيسها وذو شرفها يمدح ابن أخيه محمدا صلى الله عليه وآله وسلم، وهو
شاب

قد ربى في حجره، وهو يتيمه ومكفوله، وجار مجرى أولاده. فإن هذا الأسلوب من الشعر لا يمدح به التابع من الناس، وإنما هو مديح الملوك والعظماء، فإذا تصورت أنه شعر أبي طالب، ذلك الشيخ المبجل
العظيم، في محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو شاب مستجير به، معتصم بظله من قريش، قد رباه في حجره... علمت موضع خاصة النبوة وسرها،
وأن الله تعالى أوقع في القلوب والأنفس له
منزلة رفيعة ومكانا جليلا (١).
ولم يكتف أبو طالب بهذا وإنما وقف حياله صلى الله عليه وآله وسلم منذ بعثته، يعينه وينصره ويحميه، دون أن يلقى بالا لما يترتب على ذلك من مشاق ومتاعب مادية ومعنوية، وظل على ذلك حتى انتقل
إلى أخراه.

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٤ / ٦٣ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

وحينما تألبت قريش كلها ضد ابن أخيه، وواجهوا أبا طالب في هذا، لم يلن ولم يهن، ودعا بني هاشم وبني عبد المطلب إلى مشاركته في منع الرسول والقيام دونه، فأجمعوا إليه، وقاموا معه، فسر بذلك

وطابت نفسه، وتفجرت شاعريته يمدحهم، ويفخر بهم، وذلك إذ يقول:

إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر * فعبد مناف سرها وصميمها

وإن حصلت أشراف عبد منافها * ففي هاشم أشرافها وقديمها

وإن فخرت يوما فإن محمدا * هو المصطفى من سرها وكريمها (١)

وحينما أحس روح الشر التي سيطرت على قريش قد تجاوزت حدودها، بعد أن ذاع أمر النبي بين القبائل وخشي أن تنضم دهماء العرب ورعاعها

---

(١) سيرة ابن هشام: ١ / ٢٦٩.

إلى المخالفين من قومه، مما لا قبل له به، توجه، مع وفد من بني هاشم، إلى البيت متعوذا بحرمته ومكانته، مما يصوره بقوله:

ولما رأيت القوم لا ود فيهم * وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى * وقد طاوعوا أمر العدو المزابل
وقد حالفوا قوما علينا أظنة * يعضون غيظا خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة * وأبيض عضب من تراث المقاول
وأحصرت عند البيت رهطي وإخوتي * وأمسكت من أثوابه بالوصائل
أعوذ برب الناس من كل طاعن * علينا بسوء أو ملح بباطل
وبالبيت حق البيت من بطن مكة * وبالله، أن الله ليس بغافل

فهل بعد هذا من معاذ لعائذ * وهل من معيذ يتقي الله عاذل (١)
ولقد كان آخر سهم في جعبة قريش ضد أبي طالب، ومن معه في حماية النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو فرض الحصار والمقاطعة لبني هاشم، لا يتناكحون معهم، ولا يبايعونهم، فقبل بنو هاشم ذلك
التحدي وانحازوا إلي شيخهم وكبيرهم أبي طالب في شعبه، ولم يشذ منهم في ذلك إلا شقيهم أبو لهب واستمر الحال على ذلك ثلاث سنوات صمدوا خلالها وثبتوا رغم الجوع والإملاق الذي
أصابهم حتى هيأ الله من أنهى هذا الحصار. وفاته:
استمرت مناصرة أبي طالب للنبي منذ بعثه الله تعالى لا وهن فيها ولا تخليا بحال من الأحوال

---

(١) سيرة ابن هشام: ١ / ٢٧٢.

حتى لفظ أنفاسه الأخيرة من الدنيا وذلك في السنة الثالثة قبل الهجرة (١) وكان ذلك بعد الحصار المشار إليه بسنة ونصف تقريبا، بل أنه لم ينس وهو في آخر رمق من حياته أن يمارس نصرته للنبي صلى
الله عليه وآله وسلم، فقد التفت إلى المحيطين به قبيل وفاته، فأوصاهم بالنبي قائلا (أوصيكم بمحمد خيرا، فإنه الأمين في قريش، والصادق في العرب، والجامع لكل ما أوصيكم به... والله لا يملك
أحد سبيله إلا رشد، ولا يهتدي بهديه إلا سعد، ولو كان في العمر بقية لكففت عنه الهزاهز، ورفعت عنه الدواهي. أن محمد هو الصادق فأجيبوا دعوته، واجتمعوا على نصرته، فإنه الشريف الباقي لكم
على الدهر) (٢).

---

(١) ابن القيم زاد المعاد: ٢ / ٤٦.
(٢) وبهذا نزل القرآن الكريم من قول الله تعالى وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) الزخرف: ٤٤.

عقيدته:
وهذه الوصية وحدها كفيلة بأن تنبئ عن حقيقة عقيدته في محمد صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته، ولكن خلافا نشب حول هذه العقيدة فيما بعد البعثة النبوية، وإن اتفق الجميع على أنه كان قبلها
من المتألهين الحنفاء، وإنه لم يعرف عنه أنه هام بصنم أبدا، أو سجد لصنم قط (١
.
فالشيعة وبعض المعتزلة وبعض السنة، يرون أنه آمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبدينه (٢) وإن كان لم يعلن ذلك لأسباب كثيرة، ترجع كلها لمصلحة الدعوة الوليدة، وإمكان الاستمرار في
حمايتها، باعتبار أن المرحلة الأولى لها كانت تقتضي هذا التكتيك

---

(١) الشيخ الصدوق إكمال الدين: ١٠٤.
(٢) كتاب في رحاب علي: ص ١٤، ١٥ وكتاب: ما الفوارق بين السنة والشيعة: ص ٥٣ نقلا عن كتاب (أبو طالب) لعبد العزيز سيد الأهل.

(الخطة) (١) ويستشهدون لذلك ضمن ما يستشهدون به:
١ بمواقفه في مؤازرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مما أسلفنا الإشارة إلى بعض منه.
٢ وبما روى عنه من أشعار كثيرة تنبئ عن ذلك، ومنها (٢).
قوله:
ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية دينا
وقوله:
ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا * نبيا كموسى خط في أول الكتب

---

(١) كما أمر سول الله صلى الله عليه وآله وسلم نعيم بن مسعود الأشجعي في غزوة الخندق أن يظل كاتما إيمانه ليتمكن من التخذيل عن المؤمنين راجع سيرة ابن هشام: ٢ / ٢٢٩.
(٢) أنظر في ذلك ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٥٥ وما بعدها.

وقوله (١):
فأيده رب العباد بنصره * وأظهر دينا حقه غير باطل
وقوله (٢):
لقد علموا أن ابننا لا مكذب * لدينا ولا يعني بقوله الأباطل
فمن مثله في الناس إلا مؤمل * إذا قاسه الحكام عند التفاضل
وقوله (٣):
والله لن يصلوا إليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة * وأبشر وقر بذاك منك عيونا
فهو في هذه الأبيات كلها يصدق محمدا

---

(١) سيرة ابن هشام: ١ / ٢٨٠.
(٢) نفس المصدر: ١ / ٢٨٠.
(٣) شرح النهج: ١٤ / ٥٥.

صلى الله عليه وآله وسلم، ويؤمن بنبوته وبدينه، ومن ثم تصدى لنصرته بكل مرتخص وغال.

٣ وبما روي في الأخبار الثابتة من أنه:

(أ) لم ينكر على ابنه علي عليه السلام إيمانه بدين محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يزجره على ذلك، أو ينهه عنه، بل أقره عليه، مع ما يعلمه بما يعرضه ذلك للمتاعب والأهوال (١).

(ب) لما رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليا عليه السلام يصلي خلفه عن يمينه وكان معه ولده جعفر قال لجعفر: صل جناح ابن عمك، فصل عن يساره (٢)، مما يدل دلالة واضحة على

إسلامه فعلا، وإلا لما أقر ابنه عليا على إسلامه وصلاته، ولما أمر ابنه الثاني جعفرا بأن ينضم إلى أخيه في الصلاة، وهي عمود الإسلام، فالولد

---

(١) شرح النهج: ١٤ / ٧٥.

(٢) ابن الأثير أسد الغابة: ١ / ٣٤١.

هو أعز ما يحرص الإنسان على تنشئته وفق آرائه ومعتقداته، بل وعاداته، وبخاصة في ذلك العصر من الزمان، وكذلك البيئة القبلية من المكان، بل كان هذا هو ديدن ناس ذلك الأوان، كما سجله، كذلك،
القرآن حكاية عنهم يقول الله تعالى (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون (١).
ويزيد هذا تأكيدا أن أبا طالب أنشد، حينئذ، شعرا سجل فيه سعادته بذلك، يقول فيه:
إن عليا وجعفرا ثقتي * عند ملم الزمان والنوب
لا تخذلا، وانصرا ابن عمكما * أخي لأمي، من بينهم، وأبي
والله لا أخذل النبي، ولا * يخذله من بني ذو حسب (٢

---

(١) الزخرف: ٢٣.
(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٤ / ٧٦.

فهو لا يكتفي بأمرهما بالصلاة خلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم فحسب، وإنما هو يمدحهما ويثني عليهما في ذلك، يأمرهما بنصرته وعدم خذلانه، ويقسم على ألا يصدر منه، ولا من أحد بنيه، خذلان له أبدا.

(ج) أن زوجته فاطمة بنت أسد، (أم علي وجعفر)، كانت ثاني امرأة تدخل في الإسلام، بعد خديجة الكبرى، زوجة رسول الله، مع ما هو معلوم من تأثير كل أم على بنيها ذكورا وإناثا ومع ما هو معلوم، أيضا، من أن تقاليد ذلك الزمن كانت تقضي بألا يقر الزوج زوجته إذا خرجت عن عقيدته إلى عقيدة أخرى. ومن ثم فكيف يتصور أن يقرها أبو طالب وهو من هو في قومه على إسلامها بينما يكون هو باقيا ومصرا على أن يكون على غير الإسلام؟

(د) لما علم أن قريش علمت على الدس لدى نجاشي الحبشة ضد مهاجري المسلمين إليها كتب إليه كتابين من الشعر، نبهه في أحدهما إلى هذا

الدس، وأغراه بأن يكون على الأمل في شهامته وبسط جواره على كل من يلجأ إلى حماه، وذلك إذ يقول فيه:

تعلم أبيت اللعن أنك ماجد * كريم، فلا يشقى لديك المجانب
تعلم بأن الله زادك بسطة * وأسباب خير كلها بك لازب
وإنك فيض ذو سجال غزيرة * ينال الأعادي نفعها والأقارب (١)

ويدعوه في ثانيهما إلى الإسلام، كما جاء فيه، من قوله:

تعلم مليك الحبش أن محمدا * نبي كموسى، والمسيح ابن مريم
أتى بالهدى مثل الذي أتيا به * فكل، بأمر الله، يهدي لمعصم

---

(١) سيرة ابن هشام: ١ / ٣٣٣ ٣٣٤.

وإنكم تتلونه في كتابكم * بصدق حديث، لا حديث المرجم
فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا * فإن طريق الحق ليس بمظلم (١)
فهل من يدعو إلى الإسلام يكون غير مسلم؟
(ه) لما علم بتظاهر قريش على الرسول قال (٢):
ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا * نبيا كموسى خط في أول الكتب
فلسنا ورب البيت نسلم أحمدا * لعزاء من عض الزمان ولا كرب
(و) لما بلغه أن أحد المشركين، وضع أقذاره على ظهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو ساجد في الصلاة، وأنه يسخر من حركاته فيها، ويظاهره في هذه السخرية بعض الحاضرين،

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم: ٢ / ٦٢٣ ٦٢٤. باختلاف بسيط.
(٢) سيرة ابن هشام: ١ / ٣٥٢.

جاء مسرعا مغضبا إلى حيث يوجد النبي حينئذ، وسأل من فعل به هذا، فلما علم أنه الشاعر ابن الزبعري لطمه لطمة أدمته، وألقى عليه نفس القاذورات، ولوث بها لحييه، ثم توجه إلى النبي صلى الله عليه
وآله وسلم في عطف وحنان فقال له: أرضيت؟ ولم يلبث أن جادت قريحته بشعر يتحدى فيه كل من يقف في وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ودعوته إلى دينه، يقول فيه:

أنت النبي محمد * قدما أعز مسود
أنى تضام ولم أمت * وأنا الشجاع العربد
وبطاح مكة لا يرى * فيها نجيع أسود
وبنو أبيك كأنهم * أسد العرين توقدوا
نعم الأرومة أصلها * عمرو الحطيم الأوحد
ولقد عهدتك صادقا * بالقول لا تتزيد
ما زلت تنطق بالصواب * وأنت طفل أمرد (١)

٤ وبما روي عن العباس أنه سأل النبي

---

(١) ابن أبي الحديد شرح النهج: ١٤ / ٧٧.

صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة، فقال: يا رسول الله، ما ترجو لأبي طالب؟ فأجابه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: (أرجو له كل الخير من الله عز وجل (١).
فهل يرجو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخير بل كل الخير لأحد، وجهت إليه دعوة الإسلام، ولم يستجب إليها؟
ويرى بعض المعتزلة وأكثر الجمهور من السنة أن أبا طالب مات على غير الإسلام (٢) وأن نصرته وحمايته للنبي كانت بسبب القرابة العائلية، ومن قبيل النخوة والقبلية، ويستشهدون لذلك ضمن ما
يستشهدون به له:
١ بأبيات كثيرة من شعره تؤيدهم فيما ذهبوا إليه، ومنها:

---

(١) شرح النهج: ١٤ / ٦٨.
(٢) ابن أبي الحديد شرح النهج: ١٤ / ٦٦.

قوله:
فوالله، لولا أن أجيئ بسبة * تجر على أشياخنا في المحافل
لكنا أتبعناه على كل حالة * من الدهر جدا غير قول التنازل (١)
وقوله:
لولا الملامة أو حذاري سبة * لو جدتني سحا بذاك مبينا (٢)
ويلاحظ على هذين القولين أنه، يجد الحرج في الإعلان عن، إسلامه، ولكنه يؤكد بهما حقيقة إيمانه. ومن ثم كيف يقال: أنه مات على ما كان عليه قبل الإسلام؟
٢ وبما رواه ابن إسحاق من أنه صلى الله عليه وآله وسلم طمع في إسلام أبي طالب لما رأى منه قبل وفاته،

---

(١) سيرة ابن هشام: ١ / ١٨٠.
(٢) ابن أبي الحديد شرح النهج: ١٤ / ٥٥.

فجعل يقول له: (أي عم، قلها أي كلمة التوحيد استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة، فأجابه أبو طالب: يا ابن أخي، والله لولا مخافة السبة عليك وعلى بني أبيك من بعدي، وأن تظن قريش أنني
إنما قلتها فزعا من الموت، لقلتها، ولا أقولها إلا لأسرك بها (١)، فلما تقارب الموت من أبي طالب، نظر العباس إليه فوجده يحرك شفتيه، فأصغى إليه بأذنيه ثم قال: يا ابن أخي لقد قال أخي الكلمة التي أمرته
أن يقولها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لم أسمع) (٢). فهو هنا مؤمن، ولكنه يخاف من إعلان إسلامه السبة على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى بني أبيه.

ولعمري كيف يمكن أن يكون إسلام أبي طالب سبة على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو نبي الإسلام، الداعي إليه، متحملا من الإيذاء في سبيله ما لا قبل لغيره به، إذا سلمنا، جدلا، أنه يكون
سبة على بني أبيه؟ بل هل يدعو النبي

---

(١) سيرة ابن هشام: ١ / ٤١٨.
(٢) المصدر نفسه: ١ / ٤١٨.

إلى ما فيه سبة عليه؟ وكيف يتصور أن يكون إسلام أبي طالب على بني أبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، حينئذ سبة، وقد كان علي وجعفر وعمهما حمزة، كلهم في ذلك الوقت مسلمين فعلا بصورة
علنية؟
على أنه كيف يتصور أن يهتم العباس بأن يتابع شفتي أبي طالب، حينئذ، ويتسمع إليه بأذنيه ليتأكد مما يقول في شأن هذا الذي أمره به النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وهو لما يعرف عنه الإسلام
بعد، والتاريخ يذكر أنه ظل على موقفه من الإسلام بعد، والتاريخ يذكر أنه ظل على موقفه من الإسلام حتى شهد بدرا في صفوف المشتركين، وكان من أسراها؟ وحينئذ كيف يتصور إذا كان إسلام أبي طالب سبة على بني أبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم. أن يحقق العباس هذه السبة، فيقول للنبي: (يا ابن أخي، لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها)؟
وكيف يتصور إذا كان ذلك قد حدث فعلا أن يقول النبي صلى الله عليه وآله

وسلم: (لم أسمع)، مع أنه هو الذي أمره أن يقولها، وأخبره عمه بنطقه بها؟
وبما روي عن ابن عباس في تفسيره لقول الله تعالى: (وهم ينهون عنه، وينأون عنه (١) أنه قال: أنزلت في أبي طالب كان ينهى المشركين عن أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويتباعد عما جاء به) (٢).
فكيف يتفق هذا مع ما سبقت روايته عن ابن عباس نفسه من أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرجو لأبي طالب كل الخير من ربه؟ لا بد أن إحدى الروايتين مكذوبة (٣) على ابن عباس.
وبما روي أن عليا عليه السلام جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين مات أبو طالب فقال: إن عمك الضال قد مات، فقال

---

(١) الأنعام: ٢٦.
(٢) أسباب النزول ص ١٤٤ للواحدي.
(٣) مما يشير إلى أن المقام دخله الكذب والوضع وناهيك بما في هذا من إثارة للشك والريبة من الرواية.

اذهب فغسله، وكفنه، وواره (١) فكيف يتفق هذا مع ما سبقت روايته عن الإمام علي نفسه من أنا أبا طالب ما مات حتى أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نفسه الرضا؟ وإذن فلا بد أن
إحدى الروايتين مكذوبة أيضا على علي عليه السلام.
ولو سلمنا جدلا، أن أبا طالب لم يعلن إسلامه قبل مماته، فهل ينكر أحد أنه لم يدع وسيلة لنصرة النبي وحماية دعوته إلا وأتبعها؟
وهل من كان هذا شأنه يستحق من ابنه المسلم، أن يقول عنه حين مماته لرسول الله أن عمك الضال قد مات؟
أفلا كان يكفيه، وهو ربيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والمنشأ على أخلاق الإسلام وعفة اللسان أن يقول، حينئذ: إن عمك قد مات، دون أن يصفه بالضلال؟

---

(١) شرح السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني: ١ / ١٥٣.

وهل هذا من بر الوالدين الذي نزل به القرآن من مثل قول الله تعالى:
(وصاحبهما في الدنيا معروفا، واتبع سبيل من أناب إلي) (١).
وعلى ما تقدم كله، نتساءل:
إلى أي مدى يمكن اعتبار ما نسب إلى أبي طالب من الشعر على تعارضه دليلا على أنه أسلم بالفعل أو لم يسلم؟
وإلى أي مدى يمكن اعتبار الروايات التي استعرضناها على تعارضها أيضا دليلا لهذا الفريق أو ذاك؟
لا شك أن النظرة الملية إلى الظروف التي أوحت بهذا الشعر أو ذاك وبهذه الرواية أو تلك، وإلى البيئة النفسية، التي أنتجت كلا منهما، وإلى التيارات السياسية التي تقاذفتهما سنين طويلة عبر قرون زاخرة
بالتعصب المذهبي الذي فرض نفسه على الأفكار والآراء على صعيد العالم

---

(١) لقمان: ١٥.

الإسلامي كله، طولا وعرضا... كل ذلك ينبغي أن يكون في
الاعتبار عند النظرة إلى هذا الشعر أو ذاك، وإلى هذه الرواية أو تلك، عن إسلام أو عدم إسلام أبي طالب، الذي شاء له القدر
بلا نزاع من أي من الفريقين أن يكون كافل النبي صلى الله عليه وآله وسلم طفلا، وراعيه يافعا، وحاميه عند مبعثه، حيث لم يكن له بين الناس حام سواه.
وإذا كان مما لا خلاف فيه، أيضا، أن ما جرى لأهل البيت خلال القرون المتوالية على الأمة الإسلامية من جحود وقطيعة عقب وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان كفيلا بأن يحول بين
صفحات التاريخ وبين أن تخط فيها كلمة إنصاف يكتبها قلم، أو تنطقها شفتان، تثني عليهم أو تعترف بفضلهم... (١)
فلقد كانت الحرب ولا تزال بصورة أو بأخرى معلنة عليهم في كل زمان ومكان. ولقد تعقبوا في النفس والولد والمال والسمعة، ولاحقتهم الأحقاد باللعن والسب والإساءة... وحل بهم

---

(١) هذه الفقرة مقتبسة من ص ٦٦ - ٦٧.

التنكيل والتقتيل في كل مكان. ولم يكن عجبا والحالة هذه أن يتناولهم كثير من الكتاب، ورواة الأنباء والأخبار بما يستجيب ويتمشى مع النزعات السياسية والمذهبية المخالفة، بما يثلبهم ويقدح فيهم،
ويحرف الحقيقة في شأنهم، وأن يكون موقف ذوي الضمير من هؤلاء، وهؤلاء متمثلا في إهمال أمرهم، وعدم التعرض لذكرهم بسلب أو بإيجاب، خشية من أن ينالهم ما ينالهم من الأذى والنكال والعقاب،
مما كان يحل بكل من اتخذ الموقف الحق منهم، وفي أحداث تاريخنا المعاصر ما يمدنا
بالأمثلة الصارخة، والمتعددة، مما يحدث للمعارضين للحكام.
ومن ثم فإذا تسرب إلينا من خلال هذا الحصار والإعسار شئ من
سيرتهم المضيئة، أو قبس من أقوالهم ومواقفهم المعبرة عن حقيقة الإسلام، أو شعلة من معالم سلوكهم الرشيد، فلا شك أنه
حدث في غفلة من الطغاة وأعوانهم، وعلامة صحية على أن العقيدة حين تملك على الإنسان وجدانه وسلوكه تدعوه لأن يتحدى

الأوضاع، ليتغلب عليها بقدر الإمكان. وهذا هو الذي ظهر، فيما بعد، أنه كان حتى أصبح مادة لما نقوله الآن.

لقد وصل إلينا رغما عن كل الموانع والعوائق شعر يحدثنا عن إسلام أبي طالب، منسوبا إليه، وروايات تاريخية تؤكد ذلك منه، أفلا يكون هذا مرجحا لما روي من هذا أو ذاك، على ما روي في الجانب الآخر النافي لإسلامه؟

إن الأمر حينئذ، والحالة هذه إن لم يرق إلى رتبة الدليل، فإنه، بلا شك، لا ينزل عن مرتبة القرينة القوية التي تصل بانضمام غيرها من القرائن إلى مرتبة الدليل القوي، والبرهان الجلي، دون أن يعني هذا تهوينا من نسبة هذا الشعر إلى أبي طالب، أو صحة تلك الروايات، بما فيها من دلالة صريحة على إسلامه، فقد ورد ذكرهما في كثير من الكتب والمراجع التاريخية المعترف بوثاقتها، وصحة نقلها

مثل: تاريخ ابن كثير، وسيرة ابن هشام، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ومستدرك الحاكم.

ومن ثم فإننا نضم إلى تلك القرينة القوية غيرها من القرائن الآتية، وسنجد أنها
كلها يأخذ بعضها برقاب بعض، مؤكدة إسلام أبي طالب، حتى لا يبقى في ذلك مجال للشك، وذلك أنه من المعلوم:
١ أن رابطة الدين هي أقوى الروابط الاجتماعية، وأمامها تذوب، بل تزول وتتلاشى، سائر الروابط النسبية والسببية، أيا كان نوعها، وأيا كانت درجة كل نوع منها، حتى لقد يبلغ من قوة تأثيرها
أن تدفع الأخ لأن يحارب في سبيلها أخاه، بل وابنه وأباه، وأنها تمنع التوارث بمجرد اختلافها، وأن الولاء والتناصر يتحققان بين المتفقين فيها، مهما تباعدوا نسبيا، أو تفاوتوا اجتماعيا.
ومن ثم لا يمكن أن يقال: إن رابطة القرابة كانت سبب نصرة أبي طالب لرسول الله وحمايته له من أعدائه، تلك الحماية التي لولاها لما أمكن للدعوة الإسلامية أن تأخذ مسارها نحو الشيوع والانتشار،
وإلا فقد كان أبو لهب أيضا وبنفس المقدار جديرا بنفس النصرة والحماية، فكلاهما

عم لرسول الله، ولكن أبا لهب على العكس من أبي طالب كان حربا عوانا على محمد صلى الله عليه وآله وسلم ودينه وأتباعه، بكل أصناف الحرب وأنواع الإيذاء...

وإذن فالعقيدة هي الأولى أن تكون عامل التفرقة بين الرجلين فأبو لهب ملكت عليه عقيدته كل آفاق تفكيره فلم ير شيئا غيرها جديرا بالنظر والاعتبار، فكانت وقفته المتحدية لله ولدين الله ولرسول

الله، لا يرعى في ذلك رحما أو قرابة، حتى عرض ابن أخيه للهلاك وإهدار الدم، بينما أبو طالب، إذ أخذت عليه عقيدة الإسلام كل آفاق تفكيره بعد أن اقتنع بها، انطلاقا من تجربته لصدق محمد صلى

الله عليه وآله على طول عمره قبل البعثة فرآها جديرة بالاعتبار بل والانتصار، ومن ثم اندفع يؤيدها بكل مرتخص وغال، معرضا نفسه للمتاعب والأهوال، مما سنعرض لطرف منه في الفقرات التالية:

فالرجلان (أبو طالب وأبو لهب) من قرابة محمد

صلى الله عليه وآله وسلم متماثلان، ومن ثم لم يكن اختلاف موقف كل منهما عن الآخر منه صلى الله عليه وآله وسلم إلا تبعا لعقيدة كل منهما فيه وفي دينه فكان أحدهما إلى اليمين وكان الآخر إلى
اليسار.
٢ أن أبا طالب كان يرى بطلان عقيدة قومه من مبعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالإسلام، فقد ثبت كما سبقت الإشارة أنه كان من المتألهين الحنفاء، الذين لم يهيموا بصنم قط، ولم
يسجدوا لوثن أبدا، كما كان على ذلك أبوه عبد المطلب تماما (١).
٣ أن أبا طالب أقر ابنه عليا عليه السلام على متابعته لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، والابن أهم ما يحرص الأب على الحفاظ على عقيدته، ودينه، وأمنه وسلامته، فكيف إذن كان هذا الدين
يعرض من يتبعه لصنوف من الإيذاء والآلام؟ وهل يكون ذلك من غير مسلم؟

---

(١) الشيخ الصديق إكمال الدين: ١٠٤ والقاضي عياض في كتابه الشفا: ١ / ١٨٣.

٤ أن أبا طالب رأى النبي يوما يصلي وعن يمينه ابنه علي، وكان معه ابنه جعفر فأمره أن يدخل في الجماعة، قائلا له: (صل جناح ابن عمك، فصل عن يساره)، مما يدل على أن جعفرا كان مسلما
من قبل، ويعرف الصلاة الإسلامية، وأن أبا طالب كان يعرف أحكامها كذلك.
وهو بذلك يقدمه مع أخيه قربانين لهذا الدين في مناخ كله حرب عليه وشجب له، فهل يكون ذلك من غير مسلم؟
٥ أن أبا طالب ظل على موقفه من نصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحمايته له ولدعوته طول حياته ولم يسلمه تحت أي ظرف إلى خصومه وأعدائه أبدا.
٦ أن أبا طالب صمد لتحدي قريش بالمقاطعة الاقتصادية والاجتماعية، مقيما بشعبه في مكة، ثلاث سنوات متواصلة مع بني هاشم، عانوا خلالها جميعا من الشظف والمسغبة والحرمان مما تعجز
الكلمات عن وصف مداه وتقدير عنائه، دون

أن يتطرق إليه الوهن أو الضعف أو التردد، فهل يكون ذلك لمجرد القرابة دون أن يكون للعقيدة مدخل فيه؟

٧ أن أبا طالب لم يتردد في تصديق النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما أخبره أن الأرضة قد أكلت وثيقة المقاطعة المودعة بالكعبة ولم يبق فيها إلا اسم (الله) فقط، فخرج إلى قريش متحديا بذلك. وكان الأمر كما أخبر الرسول تماما، فهل يكون ذلك من غير مسلم؟ أو هل يبقى بعد ذلك غير مسلم، لو لم يكن مسلما من قبل؟

٨ أن النبي ظل مقيما بمكة يدعو إلى الإسلام، آمنا على حياته " طيلة حياة أبي طالب، ولم تضق عليه الأرض بمكة إلا بعد أن فقده بموته، فكان أذن الوحي له بالهجرة، لأن البقاء في مكة بعد أبي طالب لم يكن يعني فقط إجهاض الدعوة، وإكراه المؤمنين بها على الارتداد عنها، وإنما كان يعني أيضا الإجهاز على الإسلام نهائيا من الأساس لو تعرض النبي للقتل. وهذا هو

ما خطط له القرشيون بالفعل، وعلى رأسهم عمه أبو لهب، وكانت ساعة الصفر في نفس الليلة التي أذن النبي فيها بالهجرة، من مكة إلى المدينة، فهل من كان وزنه بالنسبة للدعوة الإسلامية أن حياته في مكة
حياتها وحياة نبيها، وأن مماته بمكة تعريض لهما إلى الضياع والفناء، يكون على غير دين الإسلام؟
٩ وأخيرا وليس آخرا إننا نجد التاريخ لا يسجل، ولو لمرة واحدة، أن
أعدى أعداء علي ابن أبي طالب وهو معاوية بن أبي سفيان يطعن في إسلام
أبي طالب، مع أنه لم يكن يرعى عهدا ولا
ذمة في الطعن على علي عليه السلام والادعاء عليه بما ليس فيه والانتقاص منه بنسبة ما هو متأكد من براءته منه، حتى لقد بلغ من حقده عليه أنه.
(أ) أمر بلعنه على منابر المساجد، وأوصى باستمرار ذلك من بعده.

(ب) تتبع كل من يوالونه ليكرههم على البراءة منه أو يقتلهم أن امتنعوا من ذلك.
(ج) أمر بوضع الأحاديث التي تنسب إليه ما يشينه من جهة، والتي تضفي على غيره ما خصه به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من صفات ومزايا من جهة أخرى.
ومع كل هذا فلقد كان علي عليه السلام يهاجمه بما فيه أمه هند، وأبيه أبي سفيان، من مذام ومثالب، فهل كان معاوية وقد صار الأمر إلى الآباء والأمهات يعف عن أن يرمي عليا عليه السلام
في أبيه بتهمة الكفر، لو كان لذلك ظل من الشبهة، فضلا عن الحقيقة، نكاية في علي، وردا على نيله من أبويه (١)؟
لا يقولن أحد ما يدريك لعل ذلك قد كان من معاوية، فها هي رسائل معاوية كلها إلى علي عليه السلام كما يسجلها التاريخ لا تنطوي واحدة منها على كلمة تشير من قريب

---

(١) شرح نهج البلاغة: للشيخ محمد جواد مغنية: ٣ / ٤٧١.

أو من بعيد إلى أن أبا طالب لم يكن حين مات على غير الإسلام، مما يؤكد أن قضية التشكيك في إسلام أبي طالب لم تكن مطروحة حتى زمن تمرد معاوية على علي عليه السلام، وإلا اهتبل
معاوية فرصتها، وكال لعلي، في هذا الباب، مقابل الصاع صاعين.
ولا أدل على ذلك من أن معاوية، حينما دخل عليه، بالشام، عقيل بن أبي طالب، في زمن خلافة أخيه علي عليه السلام، وأراد أن يقلل من شأن عقيل، (إسلاميا، بما ينسحب، تبعيا، إلى الإمام علي عليه
السلام فقال له: أين عمك أبو لهب يا عقيل، فكان جواب عقيل الفوري عليه يا معاوية، إذا دخلت النار فمل عن يسارك قليلا، تجده مفترشا عمتك أم جميل (١).
فما الذي كان يحوج معاوية إلى أن يعدل في هذا الإحراج إلى أبي لهب، فيحيق به مكره كما حدث له، ويترك أبا طالب لو أن هناك أدنى

---

(١) العقد الفريد: ٢ / ٣١٥.

شك في إسلامه، حيث كان، حينئذ، سيضرب عصفورين بحجر واحد، يحرج عقيلا، ويشهر بخصمه الألد علي عليه السلام دون أن يدع لعقيل فرصة الرد عليه بما يفحمه كما حدث بالنسبة لأبي لهب.

أفلا يدل هذا وحده دلالة أكيدة على أن كل ما روي في شأن عدم إسلام أبي طالب فيما بعد كان من قبيل الوضع، وتزييف الحقيقة، والافتيات على الواقع؟

أما بعد:

فهذه قرائن تسع، تكفي كل واحدة منها حين تنضم إلى ما روي من شعر منسوب إلى أبي طالب يثبت إسلامه، أو روايات المؤرخين في هذا الشأن لأن تقيم الدليل القاطع، الذي لا يدفع، على أن أبا طالب إنما مات على الإسلام، فكيف بها مجتمعة، متضافرة، ومتكاملة، يأخذ بعضها برقاب بعض، نحو غاية واحدة، ونتيجة مؤكدة، وهي أن أبا طالب حين مات إنما مات على الإسلام، لا أقول الإسلام الذي وقع حينئذ فقط،

وإنما الإسلام الذي كان، منذ بداية بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم دون جدال.

وفي ضوء ما تقدم جمعه يثور تساؤل ملح يتلخص في أنه ما هو السر في هذا اللغط، الذي دار ولا يزال يدور حول إسلام أبي طالب، نفيا وإثباتا؟

ولا أرى تعليلا لذلك إلا أن السياسة شاءت ذلك، فكان لها من أعوانها وحاشيتها من الكتاب والمؤرخين والرواة ما شاءت، ذلك أن أبا طالب هو أبو علي عليه السلام الإمام، وكنز الأئمة وحق علي
عليه السلام والأئمة من بعده في ولاية أمر الأمة، سياسيا واجتماعيا، دون غيرهم، هو معتقد الشيعة، وقد صار أمر الأمة إلى غيرهم، فكانت مصلحة الحاكمين وخاصة في العصر العباسي (١)

---

(١) بعد أن خرج كثير من أهل البيت ضد المنصور العباسي أطلق هذه الفرية ضد أبي طالب ليوحي إلى الناس أن العباسيين هم بنو العم، الذي أسلم بينما الطالبيون هم بني العم، الذي لم
يسلم. وبذلك يزكي ويرجح موقفه السياسي على خصومه من أهل البيت.

ملاحقة هؤلاء الأئمة بالتنكيل والتحريف والتشويه بشتى الوسائل، طالما كانت قلوب الناس تطوف حولهم وتعطف على مظلوميتهم. ومن ثم لم يدع الحكام فرصة لثلب مزايا الأئمة، ونفي محاسنهم،
وشل مفاخرهم، إلا واهتبلوها.
ولقد كان في مقدمة مفاخر آل البيت موقف أبي طالب من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ودينه منذ بدأ، رعاية وحماية، ودفاعا مجيدا، لا يقف عند حد، ولا يتقيد بقيد، بما لولاه لما تمكن أن يأخذ
هذا الدين طريقه إلى نور الحياة فضلا عن أن ينتشر ثم ينتصر. ومن ثم كان أبو طالب من أهداف هذه الحملة السلطوية الشنعاء ضد أهل البيت، فكانت الأشعار المنحولة، والروايات الموضوعة المدخولة، لنفي
إسلامه، حتى لم يتورعوا، في هذا المجال، عن أن ينسبوا بعض الروايات تارة إلى علي نفسه، وأخرى إلى ابن عباس (١).

---

(١) أنظر: ص ٣٥.

وما رأينا مثل هذا الجدل ثار حول إسلام كثير من المنافقين، وبخاصة من الذين قال الله تعالى فيهم لنبيه: (لا تعلمهم، نحن نعلمهم) (١) ولكنه ثار حول إسلام أبي طالب، لا لشئ إلا لأنه أبو علي
عليه السلام الإمام، أبي الإمامين، وجد الأئمة، متمثلا في التشكيكات التي حيكت لها الأشعار. والروايات، تنفيرا للناس، وصرفا لهم عن قضية الأئمة، ونشرا للضباب حولها، حتى لا تكون الحقيقة واضحة
جلية أمام الرعية، فيطمئن الحكام إلى استقرار ملكهم، واستمرار حكم أسراتهم.
ولكن الله كان بالمرصاد، فقد أشرقت شمس الحقيقة، فبددت سحائب الضباب المصنوع، حيث شاء الله تعالى أن تذهب
إلى غير رجعة عصور العصبية المذهبية والعداوة العائلية لأهل البيت، وسادت الحرية الفكرية، فانطلق الحق

---

(١) التوبة: ١٠١.

يأخذ طريقه إلى الوضوح والأسفار عن وجهه الصحيح. ومن ثم فإن الغد القريب أو البعيد سيشهد بإذن الله تعالى تصحيح كثير من المفاهيم، وإنصاف كثير من المظاليم، وإذابة الثلوج بين القائلين
بإسلام أبي طالب والقائلين بعدم إسلامه، لا بالنسبة لهذا الموضوع فحسب، ولكن بالنسبة لكثير من المعتقدات المدعاة والمفتراة، ولله عاقبة الأمور. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله
الأمين محمد وعلى آله الميامين وسلم تسليما كثيرا.

رأي الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود في إسلام أبي طالب
وإليك أيها القارئ الكريم ما جادت به براعة الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود فلقد اخترته شاهدا لإنصاف هذه الحقيقة لأنه لم يكن من الشيعة حتى يتهم بالتحيز لقضيتهم وقد ذكرنا في المقدمة أنه
كان له رأي في بداية عهده بالكتابة يقف فيه من إيمان أبي طالب موقفا سلبيا ثم انتهى بعد ذلك إلى هذا الرأي الجديد الإيجابي نرجو أن تسايره لتعرف وجه الحق في رأيه الجديد (١).
يقول الأستاذ: ورد في الأخبار أن أبا طالب: عبد مناف بن عبد المطلب، رأى النبي وعليا يصليان، وكان معه ولده جعفر، فقال له:
(يا جعفر.. صل جناح ابن عمك، فصل عن يساره).

---

(١) لأول مرة ينشر هذا الرأي.

ثم أنشد:
(إن عليا وجعفرا ثقتي * عند ملم الخطوب والنوب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما * أخي لأمي، من بينهم، وأبي
والله لا أخذل النبي ولا * يخذله من بني ذو حسب)
وأثر أيضا أنه لما علم أن قريشا تكيد لمهاجرة المسلمين بالحبشة كتب إلى النجاشي ينبهه إلى هذا الكيد كتابا من الشعر، قال فيه:
(تعلم أبيت اللعن إنك ماجد * كريم، فلا يشقى إليك المجانب
تعلم بأن الله زادك بسطة * وأسباب خير كلها بك لازب
وإنك فيض ذو سجال عزيزة * ينال الأعادي نفعه والأقارب)

وأردف بكتابه هذا، خطابا شعريا آخر، دعاه فيه إلى الإسلام كان منه:

تعلم، مليك الحبش، أن محمدا * نبي كموسى والمسيح بن مريم
أتى بالهدى مثل الذي أتيا به * فكل، بأمر الله، يهدي لمعصم
وإنكم تتلونه في كتابكم * بصدق حديث، لا حديث المرجم
فلا تجعلوا لله ندا، واسلموا * فإن طريق الحق ليس بمظلم

وروي أنه سمع يوما أن (ابن الزبعري) جاء بأقذار، فألقى بها على رسول الله وهو ساجد يصلي، وراح يسخر به، ويتابعه على سخريته جمع من المشركين فأقبل مسرعا غاضبا، وسأل ابن أخيه:

(يا بني.. من الفاعل بك هذا؟)

فلما علم، لطم الشاعر الضال لطمة أسالت دمه

... ثم لطخه بتلك الأقذار، ولوث بها لحى الفريق الساخر... وقال للرسول:
(أرضيت؟..)
وأنشده شعرا من بينه:
أنت النبي محمد * قرم أغر مسود
أنى تضام ولم أمت * وأنا الشجاع العربد
وبطاح مكة لا يرى * فيها نجيع أسود
وبنو أبيك، كأنهم * أسد العرين، توقدوا
نعم الأرومة.. أصلها * عمرو الحطيم، الأوحد
ولقد عهدتك صادقا * بالقول لا تتزيد
ما زلت تنطق بالصواب * وأنت طفل أمرد
وبعيدا عن هذا الذي أثر عن أبي طالب من أشعار، كان لا بد لي من جولة فيها وأنا أقدم لهذه، الكتاب (١).. بعيدا عنه وإلى جواره أيضا نجد

---

(١) ذكرنا في المقدمة أنه تقديم لكتاب أسنى المطالب لمؤلفه العالم الشافعي الجليل زيني دحلان رحمه الله تعالى.

طائفة من رواه الأخبار لها ولوع شديد بأن تطلع على الناس بالعديد من أبطال التاريخ الإسلامي وقد وضعت على شفاههم من القصائد والأراجيز الطوال والقصار أبيات شتات تضفي على مواقفهم
المعروضة من روعة البيان النظيم، صحة جمالية تسحر المشاعر، وتجسد البطولات وإن كان الكثير من ذلك الشعر لما لا يوافق المألوف ولا يطابق مقتضى الحال، وإن كان الكثير أيضا من تلكم المواقف التي
قيل فيها، ليزخر من الأهوال والأخطار بما هو أحرى بأن يشغل الناظم المرتجز عن نفسه وسيفه فضلا عن معالجته نظم الشعر وسوق القريض.
بل ليمكن القول بوجه عام أن جانبا مرويا عن لسان بطل من الأبطال، يأتينا خلوا من سمات عصره، ومن خصائص النظم السائدة في أوان.. أو مفتقرا إلى القدرة البلاغية والمزايا الشعرية للذين نسب
إليهم وورد أنهم قائلوه.. كما أن جانبا آخر منه قد يرى فيه في الأسفار والدواوين منسوبا

إلى بطل آخر.. أو أكثر.. سوى البطل المقصود وليس يعوزنا الاستدلال فالكتاب الذي في أيدينا جاء فيه:
ومن شعره (شعر أبي طالب) قوله:
وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد
ثم يضيف:
هكذا نسب الحافظ ابن حجر في الإصابة هذا البيت لأبي طالب وقيل بأنه لحسان بن ثابت الأنصاري.
وذهب مشركو قريش مرة لأبي طالب يقولون له:
يا أبا طالب.. هذا عمارة بن الوليد، أنهد فتى في قريش.
وأشعره وأجمله، فخذه فلك عقله ونصرته، واتخذه ولدا، وأسلم لنا ابن أخيك هذا الذي خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه

أحلامهم، وعاب آلهتهم فنقلته.. وأنما رجل برجل.. قال لهم:
والله لبئس ما تسوموننني.. أتعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه؟..
يقول (أسنى المطالب).
ثم أنشد أبو طالب:
والله لن يصلوا إليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة * وأبشر بذلك وقر منك عيونا
ودعوتني وعلمت أنك صادق * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية دينا
ويروي الكتاب الذي في أيدينا وزاد بعضهم بعد هذا:

لولا المسبة أو حذار ملامة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

ويعلق واضع الكتاب بقوله:

فقيل إن هذا البيت موضوع، أدخلوه في شعر أبي طالب وليس من كلامه وقيل إنه من كلامه وأتى به للتعمية على قريش ليوهم أنه معهم..

ومع ذلك فلا ينبغي أن يطعن هذا ومثله من تأخذ في (مضمون) الشعر المنظوم تصويرا بيانيا لتلك المناسبات البطولية المشهورة وإن كنا نراه ينال بعض النيل من صحة انتسابه لإبطاله... أو

على الأدق من (كلية) انتسابه لهؤلاء الأبطال.. فلربما بدأوه فعلا وأكمله، أو أضاف إليه كما شهدنا آخرين، لربما أنتقص منه.. لربما خالجت أصحابه معانيه وإن لم تجر على ألسنتهم في هيئة قصيد..

لربما أفصحوا عن إحساسهم بنثير (ترجم) بعد لهم إلى نظيم عسى أن يكون بصياغته المنظومة أشد وقعا في القلب وأبعد أثرا في السمع وأكثر تداولا على

الشفاه ثم أخلد وأبقى على الزمان بين أمة تشغفها الأشعار..
أجل لا تحسبنا نرى مطعنا في (المضمون).. فشعر أشباه هذه المناسبات ما كان لينطلق من فراغ.. إنما المعقول المنطقي أن لا بد له من منبع انبثق منه، أو أصل ثابت ارتكز إليه رواة الأخبار وهم
يوردونه لرسم واقعة أو لنقل مروي أو لوصف مرئي أو للتعبير عن إحساس.. وإذا لم يكن فهذا الشعر هو لسان المقال فلا أقل من أن يكون لسان الحال، وكفانا به صدقا أن يطابق نفسية المنسوب إليه
ويوفق الحادث الذي حركه ويصدق الشعور الذي أوحى به ثم لا يخالف المعلوم من الحقائق التاريخية، ولا المتوسم المرتقب من أولئك الأبطال أو المعروف مما يعتنقون من مبادئ ويدينون به من أفكار.
ونخرج من هذا التعميم إلى التخصيص.. تساؤل:

إلى أي مدى يمكن اعتبار ما نسب من الشعر إلى أبي طالب صحت النسبة وثبتت، أو علق بها غبار من الريب والشكوك دليلا عن إسلام الشيخ الهاشمي، يؤخذ به ويعول عليه ويكون أساسا تاريخا ثابتا
لا يخضع للمراجعة ولا يقبل الجدال؟..
إن (القرينة) في ذاتها قد تقترب هوينا من اليقين ولكنها ليست اليقين وقد تساند الدليل ثم لا تكون الدليل..
والشعر هنا بالنظرة المنصفة والمتجردة ليس إلا القرينة..
فلقد يومئ إلى دليل..
ولقد يشق الطريق أو يمهده لتلمس البراهين..
ولقد يساند أدلة هي في حاجة على نحو من الأنحاء إلى مساندة ظهير..
لكنه بكل المقاييس لا يمثل الحجة الدامغة التي لا تدع سبيلا لتقول متقول ولا لجدل مجادل ولا

لتأول متأول في أمر لا يبلجه أمام العيون والأفهام إلا التدليل..
إنه ليس (البرهان) الحسي السمعي المرئي الذي يستطيع وحده إثبات قضية تاريخية هي (إسلام أبي طالب) سيد بني هاشم الذي اختلفت فيه الآراء بسبب افتقار صحائف التاريخ إلى صورة واضحة
للرجل تطلعه لنا وعلى لسانه عبارة التوحيد (لا إله إلا الله)..
من هنا فإن تعمق الظروف التي استنبتت ذلك الشعر (الطالبي).. والبيئة النفسية التي تمخضت عنه والتيارات السياسية التي تقاذفته سنين طويلة عبر قرون مليئة بالخطوب والتقلبات. والتعصب المذهبي
الذي فرض نفسه في طول الأرض الإسلامية وعرضها على الأفكار في مختلف الأعصر ومع تباين الدويلات والحكام كل هذا يمثل ضرورة لازمة لا بد منها لاستنباء ذلك الشعر قيمته (الكيفية)
بغير حاجة إلى النظر في هيئته

وحجمه: من حيث الملامح البلاغية ومن حيث الكم والمقدار..
ولا شك في أننا عندما نقول: (قيمته الكيفية) إنما نعني: قوة نبضه وصدق تعبيره عن الواقعة موضع البحث: وقصة إسلام هذا العم من أعمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي شرفته الأقدار
بأن يكون كافلا لمحمد منذ طفولته يربه ويرعاه ثم حمى له عند بعثته حين لم يكن له حمى سواه.
والسؤال الآن:
(هل كان شعر أبي طالب (ناقلا أمينا) لواقعة إسلامه إلى الأذهان) لعله كان:
لكنه احتمال مظنون يضطرب معه ميزان الحقيقة بين الشك وبين الرجحان وهو كما، قلنا، قرينة وليس ببرهان..
(فهل كان أذن، ذلك الشعر مجرد (محدث لبق) عن إسلام الرجل، كل قصاراه العقل يزخرف من القول يدعم، أو يجسم أو يضخم الأحداس

والتخيلات التي قد لا يستبعد القول بأنها عن جانب وآخر نتاج أعجاب عاطفي هو وليد (ميول مذهبية) شاءت أن تستبدل بالحقيقة الخالصة فخامة التهويل؟

إن هذا الرأي حري لو قيل بأن يصبغ بالشبهات والشكوك هذه الأشعار ثم لا يعدم أن يجد هنا وهناك بعض المساندة والتأييد حتى ليوشك أن يطرح واقعة إسلام الرجل وشعره المتحدث عنها في متاهة الضياع.

وثمة إلى جوار هذا، واقع تاريخي يجب ألا تغفل عنه الأذهان أو يفوت لغير إعطائه حقه من الاعتبار.

فالثابت الذي لا يكاد يشوبه خلاف إن العصور الطويلة التي توالت على الأمة الإسلامية عقب وفاة رسول الله، كانت كفيلة بأن تمحو من صفحات التاريخ كل كلمة إنصاف يخطها قلم أو تلفظ بها

شفتان اعترافا بفضل أهل البيت الكرام فلقد حوربوا كل مكان وحوربوا كل زمان.. حوربوا في النفس والولد والسمعة فتعقبتهم الأحقاد السوداء

أينما كان باللعن وفحش القول وتلويث السيرة، كما تعقبتهم بالقتل والنكال والإيذاء على مساحة الدولة العريضة في كل مصر وقطر وكل منزل ودار.. ولم يكن من العجيب نتيجة لهذا الاضطهاد أن
يتناولهم كثير من المؤرخين ورواد الأخبار، استجابة للنزعات السياسية والمذهبية المناوئة بالقدح والتجريح.. والقلة من الكتاب التي وسعها أن تعف عن التزام هذا الاتجاه العدائي السائد، تغافلت عنهم
بالإهمال أو ذكرت من حقائق حياتهم المضيئة أقل القليل بينما فئة أخرى عبثت بأنبائهم ومشت عليها بالتحريف فإذا سلم بعد هذا شئ من سيرهم ومن آراءهم ومن معالم سلوكهم فتلك (مزية) تسللت
خلسة من وراء أظهر طغاة السياسيين والمذهبيين أو على (غفلة) كبرى من الطاعنين والثالبين.
وما قد يقال في الشعر المنسوب إلى أبي طالب من طعون قد قيل من قبل مثله وأكثر منه في أصالة غيره من الأشعار.

فقديما طلع الشاعر اليوناني العظيم: (هوميروس) على الدنيا برائعته الخالدة: (الإلياذة) فإذا الآراء من بعد تضطرب في حقيقة الشاعر وفي حقيقة الرائعة على السواء.. وإذا ادعاء من بين التهم يقول
بأسطورية هوميروس منكرا وجوده إنكارا كاملا مقررا أنه إنما عاش فقط في أخيلة بعض الناس.. وإذا ادعاء آخر ينازع الشاعر مشركا معه فيه آخرين وإذا ادعاء ثالث يزعم أن الإلياذة من صنع عديد من
شعراء مجهولين قد توالوا على الأجيال كل واحد منهم يضيف إلى شعر من سبق فقرة هنا أو بيتا هناك.. وإذا هوميروس بفعل هذه الادعاء فقد حرم من انتماء ملحمته إليه وارتباط أصلها به فلم يعد أباها
الشرعي بل تفرق نسبها بين طائفة من صانعي القريض أو بين آباء غير شرعيين كأنما أمها بغي قد تاجرت بنفسها في سوق الأعراض.
وما لنا نذهب بعيدا موغلين في تراث قدامي اليونان تنقيبا عن الإلياذة وهوميروس وملاحقة

لما قيل فيهما من اتهام في الماضي والحاضر وأمامنا المثل الحي يتجسد في (نهج البلاغة) الذي لم يسلم من طعن طاعنين في نسبته إلى أمير المؤمنين. وإن كان حالهم لا يختلف كثيرا عن حال الذي يغمض عينيه
عن الشمس الساطعة ثم يدعي أن لا نور ثمة ولا نهار..
إذن فقد خلص إلينا على الرغم من كل الظروف المانعة شعر لأبي
طالب حدثنا عن إسلامه، مهما قيل في خصائصه الفنية وصحة نسبته فإنه
مضمونا ينطق بلسان الحال وإن لم ينطق بلسان
المقال.. فإذا نظر إلى هذا الشعر على أنه (دليل) على إسلام الشيخ الجليل فهذا بلا ريب تجاوز لا يسهل إقراره لأنه الدليل الذي لا يمكن من الوجهة التاريخية أن يثبت على قدميه أمام ألسنة الأقلام
المغموسة في عداد الحقائق المؤكدة المبرأة من عوج الانحياز وإذا أخذ على أنه (قرينة) تضاف إلى غيرها من القرائن المساندة فلا تتريب.
وليس تجنيا على هذا الشعر أن يقال فيه هذا

الذي يقال ذلك لاضطراب الآراء في حقيقته: أهو حقا لأبي طالب؟ أم منسوب إليه؟ أم قد عرف بأنه لغيره من الناس؟ وهل كله أو بعضه في جميع حالات الافتراض؟

إن الشك فيه وارد لا جدال.. وإذا كان من المتفق عليه عرفا أو قانونا أن الشك يؤول عادة لصالح المتهم فهذا مبدأ مجاله ساحة القضاء وليس ساحة التاريخ الذي لا معدى عن قيام أحكامه على أرض صلبة عصيبة على الانهيار..

ولا يعني هذا ولا ينبغي أن يعني ففي عزوه إلى أبي طالب جملة وتفصيلا ونفض اليدين منه فما من أحد يستطيع أن ينكر ورود ذكره متأثرا في كثير من الكتب والمراجع التاريخية والمعترف بها كتاريخ ابن كثير وسيرة ابن هشام وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد كما أن نتفا منه قد جرت على السنة ثقات، فضلا عن الأئمة وعلى رأسهم أمير المؤمنين.. كذلك فإن وروده في تلك الأسفار

لا يعني أنه دليل قاطع على صحة نسبته بما لا يدع مجالا للارتياب بل هو حقيق بالكثير من المراجعة والتمحيص كأغلب ما انتقل إلينا من روايات الرواة.. وهل هو إلا نوع من الروايات روايات الرواة..
وهل هو إلا نوع من الروايات منظوم فيه الحادث، وفيه شخوص التأريخ..
أما في الأخذ به كحجة قاطعة على إسلام الشيخ أن يواجه حجة أقطع هي ما ورد من نصوص مشهورة تبين أنه لم يعلن عن إسلامه ولم يجاهر بشهادة (لا إله إلا الله).. فضلا عن ذلك الحديث
النبوي أو المنسوب لرسول الله الذي يصور أبا طالب متأبيا على النطق بكلمة الإسلام، وهو يكاد ينسلخ من الحياة.
حذرا وحيطة يحمل شعر أبي طالب الذي استفاض بذكر إسلامه وإعلانه الدخول في دين الله على أنه مجرد قرينة.. تماما كقرينة انحداره من صلب سلالة طاهرة لم يشب الشرك نقاوة معدنها
الروحي تكريما لمحمد النبي المختار،

وتأكيدا على أنه عليه الصلاة والسلام، طاهر من أطهار..
ولا مماراة في طهارة أصول الرسول..
فهذا جده عبد المطلب، كمثال كان متألها موحدا على ما ورد في الأخبار..
فلقد كان حنيفا على ملة إبراهيم وكان يأمر أبناءه بترك الظلم والبغي والعدوان، ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن
دنيات الأمور وكان يرفض عبادة الأصنام ويحض على الوفاء بالنذر ويمنع نكاح المحارم، ويرى قطع يد السارق ويحرم الخمر والزنا وينهى عن وأد البنات على نفس المنوال الذي جاء به القرآن بعد بضع
عشرات من السنين.. وهو القائل: (والله إن وراء هذه الدار دار يجزى فيها المحسن بإحسانه ويعاقب المسئ (بإساءته) إيمانا منه بالبعث والنشور..).
وقد اختلف في تفسير معنى الطهارة كما وردت في الحديث النبوي القائل:
(نقلنا من الأصلاب

الطاهرة إلى الأرحام الزكية) فقيل: إنها تنزيه الأمهات عن السفاح، وقيل: بل تنزيه الظهور والبطون عن الشرك بالله.. والرأي الأخير فيما نحسب أصوب لما علم من ثبات تلك الأصول الشريفة على ملة
إبراهيم.
لكن طهر الظهور والبطون: أسلاف محمد، لم يعصم سليلهم أبا لهب عبد العزى بن عبد المطلب من التنكر للإسلام ومن التنكر لنبي الإسلام ومن إشعالها نارا حامية من الحقد والعداوة على ابن أخيه
ورسالة السماء التي تنزلت عليه لم يبرد لها حر، ولا فتر أوارها حتى أهلكه الله.
وعلى هذا فالبقاء على الحنفية لا يعني الدخول في الإسلام وإن كانت الحنفية نفسها محتواة في الإسلام..
ومن الخطأ اعتبار القرابة سر انعطاف أبي طالب إلى محمد وحمايته له من أعدائه تلك الحماية التي فتحت الطريق واسعا لنشر الدعوة الإسلامية وإلا فقد كان أبو لهب وغيره من أقرباء الرسول الذين لم
يتبعوه آنذاك حقيقين بالانعطاف.

فلقد تكون القرابة دافعا للمناصرة كما قد تكون في كثير من الأحايين عاملا قويا لإنشاب الخصومة ونشر الحزازة بين القريبين بالنسب وبالرحم لوجد أحدهما على الآخر ظفر دونه بما أخفق هو في
الحصول عليه وأنهما لا بني أب واحد أو أصل واحد.
إنما العقيدة هي الأولى في رأينا أن تكون سرا لانعطاف أو تكون سر الازورار.
ولا غرابة في هذا لأن المكافأة بين الرجلين هي التي تثبت الإخفاق أو تثبت الرجحان حين توضع القرابة في الكفة
الأخرى ثم ينظر بأيهما يثقل أو يخف الميزان. فأبو لهب ملكت عليه عقيدة قومه كل أفاق تفكيره فلم ير شيئا غيرها من العقائد والأفكار حقيقا بالرؤية والاعتبار أو لم ير شيئا غيرها على الإطلاق أولى
بالسيادة والانتصار فكانت وقفته تلك المنكرة لله، الغالية في العداء للدين الجديد ولنبيه العظيم إلى أقصى ما يمكن أن تبلغ المغالاة ومن ثم فقد

أهدر حق القربى والدم وباع ابن أخيه بأبخس الأثمان، وأبو طالب قد أخذت عليه العقيدة الجديدة: الإسلام أفاق تفكيره ومجامع قلبه فرآها الجديرة بالمناصرة والتأييد ومن ثم كانت وقفته الخالدة إلى جوار
محمد ودينه وإن لقى في هذا السبيل ما يفوق الاحتمال من أخطار.. فالرجلان من قرابة محمد سيان ولم يكن اختلاف موقفيهما إلا مظاهرة للب عقيدة كليهما فمال أحدهما إلى اليسار ومال الآخر إلى
اليمين.
والواقع أن موضوع إسلام أبي طالب لا يغني فيه المنقول عن المعقول وليس مما يرجع في تحقيقه إلى الأسفار وحدها لفرط ما غلب من بعد على تاريخ تلك الفترة من تزييف وابتداع الأحاديث
والروايات وحسبنا دليلا على تغلب الميل لعقيدة محمد في نفس أبي طالب أن الشيخ الكريم انتصارا لهذه العقيدة قدم ابنه أمير المؤمنين وهو أعز على نفسه من
كل أهله بمقياس القرابة فداء لابن أخيه
وهو في الحقيقة فداء للدين.

وقد يضيف إلى صورة الحقيقة بعض الأضواء التي تظهرها مجلوة مبجلة أمام الأذهان أن نجد التاريخ خلوا من الطعن في إسلام أبي طالب بلسان أعدى أعداء علي الذين كانوا لا يرعون عهدا ولا ذمة في
الادعاء عليه بكل مثلبة ومنقصة هم أول من يعملون أنه منها براء.. (١) ولمن يحتاج في هذا الرأي فليأتنا من رسائل معاوية بن أبي سفيان إلى الإسلام بما يشير من بعيد أو قريب إلى أن أبا طالب مات على غير
دين الإسلام.. ليأتنا بكلمة واحدة في هذا الخصوص في وقت كان علي يرمي ابن هند وأباه أبا سفيان بما فيهما من مذام وهل كان معاوية ليقف عن رمي شيخ الطالبيين بتهمة الكفر لو أنه عثر على أدنى
شبهة تشوب إسلامه؟
لكن هذا الذي فات العاهر الأموي أن يدعيه لم

---

(١) سبق أن ذكرنا هذا الرأي ترجيحا لكفة إيمان أبي طالب وسبق لنا تدوينه قبل أن يخط الأستاذ كلمته وذاكرته فيه أكثر من مرة في منزله بالإسكندرية فالراجح أنه استعاره منا ونسي
أن ينسبه لصاحبه وجل من لا ينسى.

يفت الذين أعقبوه فطمست بأيديهم الجوانب المشرقة في حياة أبي طالب ليفتروا عليه ما شاء الافتراء. ثم لماذا لم يكتف الرد بآراء الجانب المعادي ولا يتلمس الحقيقة في جانب الرأي الآخر؟ إن الإنصاف
يقتضي المقابلة بين الرأيين وكفى أن نذكر هنا كلمة الإمام التي تقول:
(ما مات أبو طالب حتى أعطى رسول الله من نفسه الرضا).
وتلك شهادة من لا يكتم الشهادة ولا يلبسها ببهتان..
تم بحمد الله تعالى
في ٩ ذي الحجة سنة ١٣٩٨ ه
الموافق ١٠ / ١١ / ١٩٧٨ م